العدد 12A مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية شبـــاط 2026
No. 12A Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences February 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

التوتر الايقاعي في رثائيات ابي تمام

م.د. صالح عبدالستار يونس حميد
معهد الفنون الجميلة للبنين/ نينوى
salih.eh147@student.uomosul.edu.iq

الملخص:
يتناول هذا البحث موضوع الإيقاع في شعر أبي تمام، خاصة في قصائد الرثاء، ويبيّن أهميته في التعبير عن الحزن والفقد، ويوضح أن الإيقاع لا يقتصر على الوزن والقافية فقط، بل يشمل أيضًا التكرار الصوتي داخل النص، كما يبيّن البحث كيف يساهم هذا الإيقاع في نقل مشاعر الشاعر إلى القارئ بطريقة مؤثرة، وقد تم تحليل عدد الأبيات لبيان دور الإيقاع في تقوية المعنى، وفي النهاية يظهر أن الإيقاع عنصر مهم في جمال الشعر.

الكلمات المفتاحية: الإيقاع، الرثاء، أبي تمام، الوزن، القافية، التكرار

Rhythmic Tension in Abu Tammam's Elegies

Dr. Saleh Abdul Sattar Younis Hamid
Institute of Fine Arts for Boys/Nineveh

Abstract:

This research examines rhythm in the poetry of Abu Tammam, particularly in his elegies, and demonstrates its importance in expressing grief and loss، It clarifies that rhythm is not limited to meter and rhyme, but also includes sound repetition within the text، The research further demonstrates how this rhythm contributes to conveying the poet's emotions to the reader in a moving way، Several verses are analyzed to illustrate the role of rhythm in strengthening meaning، Ultimately, the research shows that rhythm is a crucial element in the beauty of poetry.

Keywords: Rhythm, Elegy, Abu Tammam, Meter, Rhyme, Repetition

المقدمة

يُعدّ الإيقاع من أبرز العناصر الفنية التي يقوم عليها البناء الجمالي في الشعر العربي، إذ يشكّل الأساس الموسيقي الذي تنتظم فيه الألفاظ والمعاني داخل القصيدة، فالشعر العربي منذ نشأته ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالنغمة الصوتية المنتظمة التي تتكوّن من الوزن والقافية وما ينشأ عنهما من موسيقى شعرية مؤثرة في السمع والنفس معًا، وقد أدرك النقاد العرب القدماء أهمية هذا العنصر، فعدّوه من أهم المقومات التي تميّز الشعر عن غيره من فنون الكلام، لأن انتظام الأصوات وتكرارها في نسق محدد يمنح النص طابعًا موسيقيًا يضفي عليه الجمال ويزيد من تأثيره في المتلقي، ومن هنا أصبح الإيقاع وسيلة فنية تعبّر عن الحالة الشعورية للشاعر، إذ تتفاعل النغمة الصوتية مع المعنى لتشكّل تجربة شعرية متكاملة.
ويبرز دور الإيقاع بصورة أوضح في شعر الرثاء، لأن هذا الغرض الشعري يقوم أساسًا على التعبير عن مشاعر الحزن والفقد والأسى، ولذلك يلجأ الشاعر إلى اختيار البحور الشعرية والقوافي التي تتناسب مع هذه الحالة النفسية، فتأتي الأوزان غالبًا طويلة النفس أو هادئة الإيقاع، بما يسمح ببسط المعاني وإظهار الانفعال العاطفي، كما أن التكرار الصوتي وتوازن التراكيب يساهمان في تكوين موسيقى داخلية تعمّق الإحساس بالحزن وتزيد من قوة التأثير في

السامع، وبذلك يصبح الإيقاع عنصرًا فاعلًا في نقل التجربة الشعورية من الشاعر إلى المتلقي، إذ تتكامل الموسيقى الشعرية مع المعنى لتجسيد حالة الرثاء بصورة فنية مؤثرة.

ويُعدّ شعر الشاعر العباسي أبي تمام حبيب بن أوس الطائي من النماذج الشعرية التي تظهر فيها العناية الواضحة بالبناء الإيقاعي للقصيدة، فقد امتاز شعره بقوة الصياغة وعمق الدلالة، فضلاً عنعنايته بالموسيقى الشعرية التي تسهم في إبراز المعنى وتعزيز الأثر العاطفي، ففي رثائياته على وجه الخصوص، يظهر التفاعل بين الوزن والقافية والتكرار الصوتي في تشكيل نغمة حزينة تتناسب مع موضوع الفقد، كما يتجلى ذلك في اختياره للبحور الشعرية التي تمنح القصيدة إيقاعًا متزنًا قادرًا على احتواء الانفعال الشعوري وتكثيفه داخل النص.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة التوتر الإيقاعي في رثائيات أبي تمام من خلال تحليل عدد النماذج الشعرية، للكشف عن دور الإيقاع الخارجي المتمثل في الوزن والقافية، والإيقاع الداخلي الناتج عن التكرار الصوتي والعلاقات اللفظية داخل النص، كما يهدف إلى بيان كيفية تفاعل الإيقاع مع المعنى في تصوير تجربة الرثاء، وإظهار أثره في نقل المشاعر الإنسانية المرتبطة بالفقد والحزن، ومن خلال هذا التحليل تتضح القيمة الفنية للإيقاع في شعر أبي تمام، بوصفه عنصرًا أساسًا في بناء القصيدة وإبراز جماليتها الأسلوبية.

أولًا: التعريف اللغوي للإيقاع

يرتبط مفهوم الإيقاع في اللغة العربية بأصل مادته اللغوية (وَقَعَ)، وهي مادة تدل على السقوط أو الحدوث أو إحداث الصوت، ومن هذا الأصل اشتُقّ لفظ الإيقاع للدلالة على إحداث النغمة أو الصوت على نحوٍ منتظم ومتتابع، بإذ تتعاقب الأصوات في نسق معين يترك أثرًا سمعيًا منسجمًا، وقد استُعمل هذا اللفظ في اللغة لوصف النغمة المنتظمة التي تنتج عن ترتيب الأصوات بطريقة مخصوصة، الأمر الذي يقربه من معنى التنغيم الموسيقي، ومن هنا أصبح الإيقاع في معناه اللغوي يشير إلى تنظيم الصوت أو إحداثه بنغمة متتابعة تحدث نوعًا من الانسجام في السمع.(1)

يُستعمل لفظ الإيقاع في المعاجم العربية للدلالة على توافق الأصوات وتعاقبها بصورة منتظمة تحدث نوعًا من النغمة الموسيقية، فالعرب استعملوا كلمة الإيقاع في وصف الضرب المنتظم للصوت أو النغمة التي تتكرر وفق نظام معين، وهذا المعنى يعكس ارتباط اللفظ بالحركة الصوتية المنظمة، إذ تتكرر النغمات بطريقة متوازنة تُحدث إحساسًا بالتناغم والانسجام في السمع، لذلك أصبح الإيقاع في الاستعمال اللغوي يدل على النغمة المتتابعة التي تنتج عن ترتيب الأصوات وفق نسق منتظم.(2)

ورد لفظ الإيقاع في الاستعمال المعجمي للدلالة على ضربٍ من التوافق والتنظيم الصوتي الذي يحدث نتيجة ترتيب الأصوات والحركات بنظام معين، فالإيقاع " يعني إحداث النغمة أو ترتيبها على نحو متتابع بإذ تتوالى الأصوات بطريقة منتظمة تعطي الكلام أو الصوت صفة موسيقية واضحة" ، ويُفهم من هذا المعنى أن الإيقاع في اللغة يرتبط بفكرة الانتظام والتكرار الصوتي الذي يُحدث أثرًا جماليًا في السمع، وهو المعنى الذي انتقل لاحقًا إلى مجال الشعر والأدب.(3)

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي للإيقاع

يُعرَّف الإيقاع في الاصطلاح الأدبي بأنه" النظام الصوتي الذي يتكوّن من انتظام الأوزان والقوافي في الشعر" ، إذ يعتمد الشاعر على ترتيب المقاطع الصوتية وفق قواعد العَروض، مما يؤدي إلى تكوين نسق صوتي متكرر يمنح القصيدة نغمتها الموسيقية الخاصة، ويعد هذا

(1) ينظر : لسان العرب، ابن منظور، 8 /394.
(2) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي22/119.
(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، 1064.

النظـام أحـد العناصـر الأساسـية التـي تميـز الشـعر عـن غيـره مـن فنـون الكـلام، لأنـه يقـوم علـى تنظـيم الحركـات والسـكنات فـي إطـار وزنـي محـدد يولـد إيقاعًـا منتظمًـا يرافـق المعنـى ويعـزّز أثـره فـي المتلقي.(1)

ينظـر عـدد النقـاد إلـى الإيقـاع بوصـفه " ظـاهرة صـوتية شـاملة فـي الشـعر، لا تقتصـر علـى الـوزن والقافيـة، بـل تشـمل كـذلك العلاقـات الصـوتية الداخليـة بـين الألفـاظ" ، فالإيقـاع يتكـوّن مـن تكـرار الحـروف والكلمـات وتنـاغم المقـاطع الصـوتية داخـل البيـت الشـعري، ممـا يخلـق موسـيقى داخليـة تسـهم فـي تشـكيل البنيـة الجماليـة للـنص، ومـن خـلال هـذه العلاقـات الصـوتية المتكـررة يتولـد الإحساس الموسيقي الذي يمنح الشعر طابعه الفني ويعزز تأثيره العاطفي.(2)

تُعـرّف الدراسـات الأسـلوبية الحديثـة الإيقـاع بأنـه " مجموعـة العلاقـات الصـوتية المنتظمـة التـي تتكـوّن مـن الـوزن والقافيـة والتنغـيم والتكـرار الصـوتي داخـل الـنص الشـعري، وهـي علاقـات تعمـل معًـا لتكـوين البنيـة الموسـيقية للقصـيدة، ولا يقتصـر دور الإيقـاع علـى الجانـب الجمـالي فحسـب، بـل يـؤدي أيضًـا وظيفـة تعبيريـة، إذ يسـاهم فـي نقـل الانفعـالات والمشـاعر التـي يحملهـا الـنص الشـعري" ، ويجعـل المتلقـي يتفاعـل مـع التجربـة الشـعرية مـن خـلال الإحسـاس بالنغمـة الصـوتية المتولـدة مـن انتظام الأصوات.(3)

ثالثًا: الإيقاع في النقد العربي القديم

اهـتم النقـاد العـرب القـدماء بمفهـوم الإيقـاع بوصـفه عنصـرًا أساسـيًا فـي تكـوين الشـعر، إذ أدركـوا منـذ وقـت مبكـر أن جمـال القصـيدة لا يتحقـق بالمعـاني وحـدها، بـل يتجلـى كـذلك فـي النظـام الصـوتي الـذي تنـتظم فيـه الألفـاظ، وقـد أشـار النقـاد إلـى أن انتظـام الـوزن والقافيـة يسـاهم فـي إيجـاد موسـيقى خاصـة فـي الشـعر تمنحـه تـأثيرًا فـي السـمع والـنفس معًـا، ومـن أبـرز مـن تنـاول هـذه القضـية الناقـد والبلاغـي عبـد القـاهر الجرجـاني، الـذي ربـط بـين جمـال الكـلام وبـين حسـن تـأليف الألفـاظ وانتظامهـا فـي نسـق صـوتي منسـجم، فقـد أكـد أن " الألفـاظ لا تكتسـب قيمتهـا الجماليـة منفـردة، وإنمـا مـن خـلال انتظامهـا فـي سـياق يراعـي التناسـب الصـوتي والانسـجام الإيقـاعي بـين مفـردات الكـلام، وهو ما يحقق التأثير الفني في النص الأدبي"(4) .

كمـا تنـاول النقـاد العـرب مسـألة الإيقـاع مـن زاويـة أخـرى تتعلـق بعلاقـة الصـوت بـالمعنى، إذ رأوا أن انتظـام الأصـوات فـي الشـعر يسـاهم فـي إبـراز الدلالـة وتقويـة التـأثير النفسـي للـنص، فقـد أشـار النقـاد إلـى أن الشـاعر حـين يختـار وزنًـا معينًـا أو يكـرر أصـواتًا محـددة فإنـه لا يفعـل ذلـك اعتباطًـا، بـل يسـعى إلـى خلـق نغمـة صـوتية تتناسـب مـع المعنـى الـذي يريـد التعبيـر عنـه، ومـن هنـا أصـبح الإيقـاع عنـد النقـاد القـدماء عنصـرًا مهمًـا فـي تحقيـق الانسـجام بـين الشـكل والمضـمون فـي الشـعر، إذ تتكامل الموسيقى الشعرية مع المعنى لتكوين التجربة الفنية الكاملة.(5)

رابعا : الفرق بين الإيقاع الخارجي والإيقاع الداخلي

يقـوم البنـاء الموسـيقي فـي الشـعر العربـي علـى نـوعين رئيسـين مـن الإيقـاع، همـا الإيقـاع الخـارجي والإيقـاع الـداخلي، وكلاهمـا يسـاهم فـي تكـوين النغمـة الشـعرية التـي تميّـز الشـعر عـن غيـره مـن فنـون القـول، فالإيقـاع الخـارجي يمثـل الإطـار الموسـيقي الظـاهر للقصـيدة، بينمـا الإيقـاع الـداخلي يشـير إلـى العلاقـات الصـوتية الدقيقـة التـي تنشـأ داخـل بنيـة الـنص الشـعري نفسـه، ومـن خـلال التفاعـل بـين هـذين النـوعين يتشـكل الإيقـاع الكلـي للقصـيدة، الـذي يضـفي عليهـا الانسـجام الموسـيقي ويعزز تأثيرها في المتلقي.

---

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، 74.
(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، 56/1.
(3) العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، 215.
(4) دلائل الإعجاز، 73.
(5) الموازنة بين الطائيين، الآمدي، 65

ويقصد بالإيقاع الخارجي ذلك النظام الصوتي الواضح الذي يقوم على الوزن والقافية، وهما الركيزتان الأساسيتان للبناء العروضي في الشعر العربي، فالوزن هو الإطار الإيقاعي الذي تنتظم فيه الحركات والسكنات وفق قواعد علم العَروض التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ تُرتّب المقاطع الصوتية في نسق محدد يتكرر في أبيات القصيدة، ويؤدي هذا الانتظام إلى توليد نغمة موسيقية واضحة تُدرك عند إنشاد الشعر أو سماعه، أما القافية فهي الحرف أو الحروف التي يختم بها البيت الشعري وتتكرر في نهاية الأبيات، فتمنح القصيدة وحدة صوتية وتزيد من تماسكها الإيقاعي، وقد أدرك النقاد العرب أهمية هذين العنصرين في تشكيل موسيقى الشعر، وعدّوهما أساس الإيقاع الظاهر الذي يمنح القصيدة طابعها الغنائي ويجعلها أكثر تأثيرًا في السامع. (1)

ويتميز الإيقاع الخارجي بأنه عنصر ثابت نسبيًا في القصيدة، لأنه يخضع لنظام محدد من البحور الشعرية والقوافي، ولذلك يسهل إدراكه من قبل المتلقي، فعندما يختار الشاعر بحرًا معينًا مثل الكامل أو الطويل فإنه يلتزم بتفعيلاته في جميع أبيات القصيدة، الأمر الذي يؤدي إلى تكرار نمط إيقاعي محدد يمنح النص انسجامًا موسيقيًا واضحًا، كما أن القافية تؤدي دورًا مهمًا في تثبيت هذا الإيقاع؛ لأنها تتكرر في نهاية كل بيت، فتُحدث نوعًا من التوقع الموسيقي لدى السامع، إذ ينتظر تكرار الصوت نفسه في ختام الأبيات، وبذلك يساهم الإيقاع الخارجي في توحيد البناء الفني للقصيدة وتعزيز أثرها الجمالي. (2)

أما الإيقاع الداخلي فهو ذلك الإيقاع الخفي الذي يتولد داخل النص الشعري نتيجة العلاقات الصوتية بين الألفاظ والتراكيب، ولا يعتمد هذا النوع من الإيقاع على الوزن والقافية فحسب، بل ينشأ من وسائل متعددة مثل تكرار الحروف، وتكرار الكلمات، والتوازن بين الجمل، والتنغيم الناتج عن ترتيب الألفاظ داخل البيت الشعري، وهذه العناصر جميعها تسهم في إيجاد موسيقى داخلية تضفي على النص الشعري حيوية خاصة، وتجعل الإيقاع أكثر تنوعًا وثراءً، وغالبًا ما يرتبط الإيقاع الداخلي بالحالة النفسية للشاعر؛ إذ يعمد الشاعر إلى تكرار أصوات معينة أو كلمات محددة للتعبير عن الانفعال أو التأكيد على معنى معين. (3)

كما يظهر الإيقاع الداخلي في ظواهر أسلوبية متعددة مثل الجناس والسجع والتوازي الصوتي بين الكلمات، وهي وسائل فنية تسهم في خلق انسجام صوتي داخل النص، فالتقارب بين الأصوات أو تكرارها في مواضع مختلفة من البيت الشعري يولد نغمة موسيقية دقيقة لا تعتمد على الوزن وحده، بل تنبع من العلاقات الصوتية بين مفردات اللغة، ويعد هذا النوع من الإيقاع أكثر دقة وعمقًا من الإيقاع الخارجي، لأنه يرتبط ببنية النص الداخلية وبطريقة توزيع الألفاظ فيه، ولذلك فإنه يساهم في تعزيز الجمال الأسلوبي للقصيدة ويزيد من قدرتها على التأثير في المتلقي. (4)

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإيقاع الخارجي والإيقاع الداخلي يتكاملان في تشكيل الموسيقى الشعرية للقصيدة؛ فالإيقاع الخارجي يوفر الإطار العام للنغمة الشعرية من خلال الوزن والقافية، في حين يعمل الإيقاع الداخلي على إثراء هذا الإطار بإيقاعات صوتية دقيقة تنشأ من داخل النص نفسه، ولذلك فإن جمال الشعر لا يتحقق بالاعتماد على أحدهما دون الآخر، بل يتولد من التفاعل بينهما، إذ يتكامل النظام العروضي مع العلاقات الصوتية الداخلية ليشكلا معًا البنية الإيقاعية الكاملة للقصيدة. (5)

---

(1) ينظر: في النقد الأدبي، شوقي ضيف 112.
(2) ينظر : العروض والقافية، إبراهيم أنيس، 45.
(3) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، 1/ 58.
(4) ينظر : الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي،137.
(5) ينظر : في الأدب العباسي وتاريخه، شوقي ضيف، 214.

خامسا : التواتر الايقاعي في رثائيات أبي تمام

1- أثر الوزن والقافية في توليد التوتر الإيقاعي

يُعدّ الوزن والقافية من أهم العناصر التي تسهم في تشكيل الإيقاع في الشعر العربي، إذ يقوم الوزن بتنظيم الحركات والسكنات في نسق صوتي متكرر يمنح القصيدة طابعها الموسيقي المميز، ويؤدي هذا الانتظام دورًا مهمًا في بناء الحالة الشعورية للنص، لأن الشاعر يختار البحر الشعري الذي يتلاءم مع طبيعة التجربة التي يعيشها، ففي قصائد الرثاء، على سبيل المثال، يميل الشعراء إلى اختيار بحور ذات نغمة متمهلة أو طويلة النفس، لما تمنحه من قدرة على التعبير عن الحزن والأسى، ومن خلال هذا النظام الإيقاعي المتكرر يتولد ما يسمى بالتوتر الإيقاعي، وهو حالة من الشدّ الموسيقي التي تنشأ من التفاعل بين الإيقاع والمعنى، فتجعل المتلقي يشعر بالانفعال الذي يعيشه الشاعر، ويظهر هذا التوتر بوضوح عندما يتكرر الوزن مع دلالات حزينة أو مؤلمة، فينشأ نوع من التوتر بين الموسيقى المنتظمة والمشاعر العميقة التي تحملها الألفاظ. (1)

2- تحليل البحر الشعري في قصيدتين من رثائيات أبي تمام

تُظهر رثائيات الشاعر العباسي أبي تمام عناية واضحة باختيار البحور الشعرية التي تتناسب مع طبيعة الرثاء، فالشاعر غالبًا ما يلجأ إلى البحور الطويلة مثل بحر الطويل أو الكامل، لما تمتاز به من إيقاع متمهل يسمح ببسط المعاني وإظهار الانفعال العاطفي، ويُلاحظ عند تحليل عدد قصائده في الرثاء أن انتظام التفعيلات وتكرارها يمنح النص إيقاعًا حزينًا يتلاءم مع موضوع الفقد، كما أن طول الشطر في عدد البحور يتيح للشاعر أن يعبّر عن مشاعره بتدرّج، فيبدأ بالحديث عن الفقيد ثم ينتقل إلى وصف المصاب وأثره في النفس، وهذا التدرج الإيقاعي يساعد على بناء توتر شعوري داخل النص، إذ تتصاعد النغمة الحزينة مع تقدم الأبيات. (2)

قال الشاعر ابي تمام :

يا موضع الشدنية الوجناء ومصارع الادلاج والاسراء (3)

يتجلى اهتمام الشاعر بالبناء الإيقاعي من خلال اختيار البحر الطويل الذي يتميز بتفعيلاته الممتدة ونغمته المتمهلة، وهو ما ينسجم مع طبيعة الرثاء ويتيح للشاعر التعبير عن الحزن والحنين بصورة متدرجة، كما يظهر الإيقاع الداخلي في تكرار الأصوات، ولا سيما حرف اللام في كلمات مثل الشدنية، الوجناء، الإدلاج، الإسراع، مما يخلق انسجامًا صوتيًا داخل البيت، ويبرز كذلك التقارب الصوتي بين الإدلاج والإسراع، الذي يعمّق الإحساس بالحركة والتوتر، ومن خلال هذا التفاعل بين الإيقاع الخارجي للبحر الطويل والموسيقى الداخلية الناتجة عن التكرار والتوازن الصوتي، يتحقق توتر إيقاعي يعكس الحالة الشعورية للشاعر.

ويستهل الشاعر البيت بنداء المكان، فيخاطبه كأنه كائن حي يستحضر ذكريات الماضي، ويشير إلى الموضع الذي كانت تمرّ به القوافل والركبان في الليل والنهار، مما يجعل المكان شاهدًا على الحركة والحياة التي كانت فيه، غير أن هذا الاستحضار المكاني يرتبط في سياق الرثاء بشعور الحنين إلى زمن مضى ارتبط بوجود الفقيد.

وقوله :

يسر لقولك مهر فعلك انه ينوي افتضاض صنيعة عذراء (4)

جاء هذا البيت على البحر الطويل الذي يتميز بإيقاعه الممتد ونغمته المتمهلة، وهو ما ينسجم مع طبيعة الرثاء التي تتطلب بسط المعاني والتعبير عن الحزن بتدرج، ويظهر الإيقاع الداخلي من

---

(1) ينظر : في النقد الأدبي، 118.
(2) ينظر : العروض والقافية، إبراهيم أنيس، 48.
(3) ديوان ابي تمام، 1.
(4) ديوان ابي تمام، 5.

خـلال التـوازن بـين كلمتـي قولـك وفعلـك، فضـلاً عنـالتكرار الصـوتي لعـدد الحـروف مثـل الـراء والعـين فـي عـذراء وصـنيعة، ممـا يخلـق انسـجامًا موسـيقيًا داخـل البيـت، ويعـزز هـذا التفاعـل بـين الـوزن والتكـرار الشـعور بصـدق الممـدوح ونقـاء عطائـه، فيتولـد تـوتر إيقـاعي يعمـق الإحسـاس بفقـد هذه الصفات.

يبـرز الشـاعر فـي هـذا البيـت انسـجام القـول مـع الفعـل لـدى الممـدوح، إذ يجعـل الفعـل كأنـه مهـر يقدمـه القـول، فـي دلالـة علـى صـدق العطـاء وواقعيتـه، وتشـبيه الصـنيعة بالعـذراء يـوحي بنقـاء المعـروف وجِدَّتـه، وكـأن إحسـان الممـدوح لـم يمسّـه نقـص أو تكـرار، ويضـفي الإيقـاع المنـتظم للبحـر الشـعري علـى المعنـى طابعًـا هادئًـا ينسـجم مـع الإشـادة بفضـائل الممـدوح فـي سـياق الرثـاء، كما أن الصورة البلاغية تعمّق الإحساس بقيمة العطاء الذي أصبح مفقودًا بعد رحيل صاحبه.

كما يذكر في قوله :

يحيى بن ثابت الذي سن الندى وحوى المكارم من حيا وحياء (1)

ينتمـي هـذا البيـت إلـى البحـر الطويـل الـذي يمـنح القصـيدة إيقاعًـا رصـينًا مناسـبًا لموضـوع الرثـاء، ويبـرز الإيقـاع الـداخلي فـي الجنـاس بـين "حيـا" و"حيـاء"، فضـلاً عنـالتوازن بـين عبـارتي سـن النـدى وحـوى المكـارم، ممـا يولـد موسـيقى داخليـة منسـجمة، ويسـاهم هـذا التنـاغم الصـوتي فـي إبـراز صورة الممدوح بوصفه مصدر الكرم والفضيلة، ويزيد من تأثير الشعور بفقده.

يشـير الشـاعر فـي هـذا البيـت إلـى شخصـية الممـدوح بوصـفه أصـل الكـرم ومصـدره، حتـى كأنـه هـو الـذي سـنّ عـادة العطـاء بـين النـاس، ويجمـع بـين كلمتـي "حيـا" و"حيـاء" فـي جنـاس لطيـف يعـزز الموسـيقى الداخليـة للبيـت ويبـرز اكتمـال صـفات الممـدوح الأخلاقيـة، كمـا أن الجمـع بـين الحيـاة والحيـاء يـوحي بنقـاء الـنفس وسـمو الأخـلاق، ويسـاهم الإيقـاع المنـتظم للبحـر فـي إبـراز هـذه المعـاني بصورة متوازنة تجمع بين الإشادة والحنين إلى صفات الفقيد.

3- دلالة اختيار البحر في التعبير عن الحزن

إن اختيـار البحـر الشـعري فـي القصـيدة لـيس أمـرًا عشـوائيًا، بـل هـو جـزء مـن العمليـة الفنيـة التـي يقـوم بهـا الشـاعر عنـد بنـاء نصـه الشـعري، فكـل بحـر مـن بحـور الشـعر العربـي يمتلـك إيقاعًـا خاصًـا يختلـف عـن غيـره، وهـذا الإيقـاع يتـرك أثـرًا معينًـا فـي نفـس المتلقـي، ولـذلك نجـد أن البحـور الطويلـة أو المتوسـطة الإيقـاع غالبًـا مـا تُسـتعمل فـي موضـوعات الرثـاء والحـزن، لأنهـا تسـمح بتـدفق العاطفـة وتسـاعد علـى إبـراز الانفعـال الـداخلي للشـاعر، وعنـدما يختـار الشـاعر بحـرًا ذا نغمـة متمهلـة فإنـه يهيـئ المتلقـي لاسـتقبال تجربـة شـعورية يغلـب عليهـا الأسـى والتأمـل، ومـن هنـا فـإن البحـر الشـعري يصـبح أداة تعبيريـة تسـهم فـي نقـل الحالـة النفسـية التـي يعيشـها الشـاعر، إذ تتوافـق الموسيقى الشعرية مع مضمون القصيدة لتشكّل وحدة فنية متكاملة. (2)

قال ابي تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب في حدة الحد بين الجد واللعب (3)

جـاء هـذا البيـت علـى البحـر البسـيط الـذي يمتـاز بإيقـاع قـوي متـوازن يناسـب المعنـى القـائم علـى الحسـم والقـوة، ويظهـر الإيقـاع الـداخلي مـن خـلال التقابـل بـين الجـد واللعـب، فضـلاً عنتكـرار صـوت الـدال والبـاء، ممـا يخلـق تناغمًـا صـوتيًا داخـل البيـت، ويسـاهم هـذا التفاعـل بـين الـوزن والتكرار في إبراز فكرة المفاضلة بين الفعل والكلام وتعزيز قوة المعنى.

يؤكـد الشـاعر فـي هـذا البيـت أن الحقيقـة تظهـر فـي الفعـل والعمـل لا فـي الأقـوال وحـدها، فالسـيف هنـا رمـز للقـوة والحسـم، بينمـا تمثـل الكتـب الكـلام أو الجـدل النظـري، ويعكـس الإيقـاع القـوي للبيـت

(1) ديوان ابي تمام، 5.
(2) ينظر : الموسيقى الشعرية، إبراهيم أنيس، 72.
(3) ديوان ابي تمام، 7.

حـدة المعنـى وصـلابته، إذ تتوافـق النغمـة الإيقاعيـة مـع فكـرة الحسـم والجديـة، كمـا أن التقابـل بـين "الجد" و"اللعب" يبرز المفارقة بين الحقيقة والزيف، وهو ما يعمّق التأثير الدلالي للبيت.

كما في قوله :

احس قرابينا صرف الردى ومضى بإذ انجى مطايا من الهرب(1)

ينتمـي هـذا البيـت إلـى البحـر البسـيط الـذي يتميـز بإيقـاع متحـرك يعكـس تسـارع الأحـداث، ويظهـر الإيقـاع الـداخلي فـي التكـرار الصـوتي لعـدد الحـروف مثـل الـراء والبـاء، فضـلاً عـن الحركـة الإيقاعيـة فـي الأفعـال مثـل أحـس، مضـى، يحـث، ممـا يخلـق موسـيقى داخليـة تـوحي بسـرعة الحـدث وقوة تأثيره.

يصـور الشـاعر المـوت كأنـه قـوة تفـرض حضـورها وتقتـرب مـن الإنسـان بـلا مهـرب، فلفظـة "قرابين الـردى" تـوحي بـأن المـوت يطلـب ضـحايا يقـدمون لـه، وهـو تصـوير يزيـد مـن حـدة الشـعور بالفنـاء، ويكشـف الفعـل "مضـى" عـن حتميـة المصـير وعـدم قـدرة الإنسـان علـى مقاومـة القـدر، ويسـاهم الإيقـاع المتـدفق للبيـت فـي نقـل هـذا الشـعور بالحركـة السـريعة للأحـداث، ممـا يعمّـق الإحساس بالمأساة.

كما في قوله :

يا رب حوباء لما اجتث دابرهم طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطب(2)

ينتمـي البيـت إلـى البحـر البسـيط الـذي يمـنح الـنص إيقاعًـا متزنًـا يسـاعد علـى إبـراز شـدة الانفعـال، ويظهـر الإيقـاع الـداخلي فـي التكـرار بـين طابـت ولـم تطـب، وهـو تقابـل صـوتي ودلالـي يخلـق تـوترًا إيقاعيًـا داخـل البيـت، كمـا يسـاهم تكـرار صـوت البـاء فـي تعزيـز الانسـجام الموسـيقي وإبـراز المفارقة التي يريد الشاعر التعبير عنها.

يشـير الشـاعر فـي هـذا البيـت إلـى خطيئـة عظيمـة أو جريمـة فادحـة لا يمكـن تبريرهـا أو تجميلهـا، فحتـى لـو حـاول النـاس تزيينهـا بالطيـب والعطـر، فإنهـا تبقـى قبيحـة فـي حقيقتهـا، ويعكـس هـذا المعنـى إحساسًـا أخلاقيًـا عميقًـا بـالألم والظلـم الـذي أصـاب النـاس، كمـا أن الإيقـاع المتـوازن فـي البيـت يعـزز هذا المعنى من خلال التقابل بين الطيب والقبح، مما يزيد من قوة التأثير في المتلقي.

4- أثر القافية في تعزيز النغمة العاطفية

تـؤدي القافيـة دورًا مهمًـا فـي بنـاء الإيقـاع الشـعري وتعزيـز النغمـة العاطفيـة للقصـيدة، لأنهـا تمثـل العنصـر الصـوتي الـذي يتكـرر فـي نهايـة الأبيـات فيمـنح الـنص وحـدة موسـيقية واضـحة، وفـي قصـائد الرثـاء علـى وجـه الخصـوص، تسـهم القافيـة فـي تكثيـف الشـعور بـالحزن؛ إذ إن تكـرار الصـوت نفسـه فـي نهايـة كـل بيـت يرسّـخ الإحسـاس بالأسـى فـي نفـس المتلقـي، كمـا أن اختيـار حـروف معينـة للقافيـة قـد يزيـد مـن قـوة التـأثير العـاطفي، فعـدد الحـروف ذات جـرس حـزين أو ثقيـل يمكـن أن تعكـس الحالـة النفسـية التـي يعيشـها الشـاعر، ولـذلك فـإن القافيـة لا تُعـد مجـرد عنصـر شـكلي فـي القصـيدة، بـل هـي وسـيلة فنيـة تسـاعد علـى إبـراز الانفعـال الشـعوري وتأكيـد النغمـة العاطفية للنص. (3)

قال الشاعر ابي تمام :

لكن بنو طوق وطوق قبلهم شادوا المعالي بالثناء الاغلب (4)

---

(1) ديوان ابي تمام، 11.
(2) ديوان ابي تمام، 11.
(3) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، 143/1.
(4) ديوان ابي تمام، 13.

جاء هذا البيت على البحر البسيط الذي يمنح النص إيقاعًا متماسكًا يتناسب مع المعنى القائم على الفخر واستحضار المجد، ويظهر الإيقاع الداخلي في تكرار لفظ طوق، وهو تكرار يخلق جرسًا صوتيًا يعزز الإيقاع الداخلي، كما يساهم التوازن بين شطري البيت في إبراز استمرارية المجد عبر الأجيال.

يستحضر الشاعر في هذا البيت تاريخ المجد الذي بناه هؤلاء القوم عبر الأجيال، فهو يربط بين الحاضر والماضي ليؤكد أن الفضائل ليست وليدة اللحظة، بل هي امتداد لتراث طويل من الشرف والكرم، وتأتي القافية الموحدة في نهاية البيت لتعزز الشعور بالثبات والاستمرار في هذه القيم، كما يضفي الإيقاع المنتظم إحساسًا بالفخر الممزوج بالحنين إلى أمجاد الماضي.

كما في قوله :

شرس ويتبع ذاك لين خليقة لاخير في الصهباء مالم تقصب (1)

ينتمي هذا البيت إلى البحر البسيط الذي يمتاز بإيقاع متوازن يجمع بين الحركة والامتداد، مما يمنح البيت نغمة موسيقية واضحة، ويظهر الإيقاع الداخلي في التقابل بين شرس ولين، وهو تقابل يخلق توترًا إيقاعيًا يعكس فكرة التوازن بين القوة والرحمة، كما يساهم تكرار صوت اللام والباء في نهاية الكلمات في تعزيز الانسجام الصوتي داخل البيت.

يجمع الشاعر في هذا البيت بين صفتين متقابلتين هما الشدة واللين، ليبين أن اكتمال الشخصية يتحقق بالتوازن بين القوة والرحمة، ويستعين بالمثل المتعلق بالصهباء (الخمر) ليؤكد أن الجودة لا تظهر إلا بعد التهذيب والتصفية، كما أن القافية الموحدة تضفي على البيت نغمة إيقاعية متماسكة تزيد من قوة المعنى، ويعكس هذا التوازن في الصفات صورة مثالية للشخصية الممدوحة.

وقوله :

فلا يؤرقك ايماض القتير به فان ذاك ابتسام الرأي والادب (2)

جاء هذا البيت على البحر البسيط الذي يتميز بإيقاع هادئ مناسب للمعاني التأملية، ويظهر الإيقاع الداخلي في التوازن بين عبارتي الرأي والأدب، فضلاً عنالتقارب الصوتي بين الكلمات، مما يخلق موسيقى داخلية خفيفة، ويساعد هذا الانسجام الإيقاعي في إبراز فكرة الشاعر التي تجعل الشيب رمزًا للحكمة والنضج.

يشير الشاعر في هذا البيت إلى الشيب بوصفه علامة على الحكمة والنضج الفكري لا على الضعف، فهو يحول القتير (الشيب) إلى رمز إيجابي يدل على الوقار والخبرة، كما أن الصورة البلاغية التي تجعل الشيب "ابتسام الرأي" تمنح البيت دلالة فلسفية عميقة، ويساعد الإيقاع المنتظم على إبراز هذه الفكرة بطريقة هادئة تعكس احترام الشيخوخة وتجارب الحياة.

سادسا : التكرار الصوتي وبناء التوتر في القصيدة

١ ـ تكرار الحروف والاصوات ودوره في الايقاع الداخلي

يشكل تكرار الحروف والأصوات أحد أهم مظاهر الإيقاع الداخلي في الشعر، إذ لا يقتصر الإيقاع على الوزن والقافية فقط، بل يشمل أيضًا نسق التكرار الصوتي الذي يخلق موسيقى خفية داخل النص، ففي رثائيات أبي تمام، يُلاحظ أن تكرار الأصوات المتشابهة في بداية الكلمات أو نهاياتها يضفي على النص نوعًا من الانسجام الداخلي، ويخلق إيقاعًا موسيقيًا شعوريًا يتفاعل مع مضمون الحزن، هذا التكرار الصوتي يساعد على تثبيت نغمة الحزن في

(1) ديوان ابي تمام، 14.
(2) ديوان ابي تمام، 15.

ذهن المتلقي، ويُبرز الحالة النفسية المهيمنة على النص، فتزداد قدرة القصيدة على نقل تجربة الفقد إلى السامع بشكل أعمق وأكثر إحساسًا بالمأساة. (1)

قال ابي تمام :

ستصبح العيسر بي والليل عند فتى كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب (2)

جاء هذا البيت على البحر البسيط الذي يتميز بإيقاع متوازن يجمع بين الامتداد والحركة، مما يمنح البيت نغمة موسيقية واضحة تساعد على إبراز المعنى، ويظهر الإيقاع الداخلي من خلال التقابل بين الرضى والغضب، فضلاً عنالتوازن التركيبي بين شطري البيت، الأمر الذي يخلق انسجامًا صوتيًا داخل النص، ويساهم هذا التفاعل بين الوزن والتقابل في إبراز الصراع النفسي الذي يعيشه الشاعر، مما يضفي على البيت توترًا إيقاعيًا يعكس الحالة الشعورية.

يعكس هذا البيت حالة الصراع الداخلي بين الشدة والرضا، إذ يشير الشاعر إلى قدرة الإنسان على تذكّر الرضا حتى في لحظات الغضب، ويبرز التكرار الصوتي لعدد الحروف حالة التوتر النفسي التي يعيشها المتكلم، كما أن الجمع بين الليل والعسر يوحي بظروف قاسية تحيط بالإنسان، ويساعد الإيقاع الداخلي الناتج عن تكرار الأصوات على إبراز هذا الصراع الشعوري.

كما في قوله :

سلبن غطاء الحسن عن حر اوجه تظل اللب السالبيها سوالبا (3)

ينتمي هذا البيت إلى البحر الطويل الذي يمنح القصيدة إيقاعًا متمهلاً يتناسب مع تصوير المصيبة والحزن، ويظهر الإيقاع الداخلي من خلال تكرار صوت السين واللام في كلمات مثل سلبن، السالبيها، سوالبا، مما يخلق جرسًا صوتيًا يعكس شدة التأثر بالمصيبة، كما يساهم هذا التكرار في توليد موسيقى داخلية تعزز الشعور بالاضطراب والحزن.

يصور الشاعر شدة المصيبة التي كشفت جمال الوجوه وأثرت في النفوس، فالفاجعة هنا تبدو قادرة على سلب الإنسان هدوءه وتوازنه، ويبرز التكرار الصوتي في كلمات مثل "سلبن" و"سوالب" حالة الاضطراب والانفعال التي أحدثتها الحادثة، ويساعد هذا التكرار في خلق موسيقى داخلية تعكس شدة الألم في النص.

وقوله :

لو اقتسمت اخلاقه الغر لم تجد معيبا ولا خلفا من الناس عائبا (4)

جاء هذا البيت على البحر الطويل الذي يوفر إيقاعًا رصينًا يسمح بإبراز صفات الممدوح، ويظهر الإيقاع الداخلي في التقارب الصوتي بين معيبًا وعائبًا، وهو نوع من الجناس الصوتي الذي يولد انسجامًا موسيقيًا داخل البيت، كما يعزز التوازن التركيبي بين شطري البيت الإيقاع الداخلي، مما يبرز صورة الكمال الأخلاقي للممدوح.

يؤكد الشاعر في هذا البيت كمال أخلاق الممدوح حتى لو وزعت صفاته على الناس جميعًا، فهو يبالغ في تصوير فضائله ليبرز مكانته الرفيعة بين الناس، ويخلق التكرار الصوتي في كلمات مثل "معيبًا" و"عائبًا" انسجامًا موسيقيًا يزيد من تأثير المعنى، كما يعكس الإيقاع المتوازن صورة مثالية للشخصية التي يفتقدها المجتمع بعد رحيلها.

٢- تكرار الكلمات والتراكيب وأثره في تكثيف الشعور بالفقد

---

(1) ينظر : الموسيقى الشعرية، 8.
(2) ديوان ابي تمام، 16.
(3) ديوان ابي تمام، 17.
(4) ديوان ابي تمام، 18 .

يلعب تكرار الكلمات والتراكيب دورًا أساسيًا في الإيقاع الداخلي للقصيدة، إذ يعمل على تعزيز الإحساس بالمضمون العاطفي، ففي نصوص الرثاء، يستخدم الشاعر تكرار كلمات مفتاحية مرتبطة بالحزن أو الفقد مثل "فقد"، "رحيل"، "الأسى"، لتكثيف الشعور بالحرمان والمصاب، كما أن تكرار تراكيب معينة في الجملة أو البيت الشعري يخلق إيقاعًا داخليًا يُشبه الصدى النفسي، بإذ يشعر القارئ بتكرار الألم والعاطفة مع تقدم النص، وهذا الأسلوب الفني لا يزيد النص جمالًا صوتيًا فحسب، بل يساهم أيضًا في إيصال تجربة الرثاء وتجسيد عمق الحزن، ويجعل المعنى يلتصق بالسمع والذاكرة معًا. (1)

قال الشاعر ابي تمام :

من كل ريم لم ترم سوا ولم تخلط صبى ايامها بتصاب(2)

ينتمي هذا البيت إلى البحر الكامل الذي يمتاز بإيقاعه الحيوي وقدرته على إبراز الصور الشعرية، ويظهر الإيقاع الداخلي في التكرار الصوتي لحرف الميم واللام في كلمات مثل لم، لم، تخلط، مما يمنح البيت انسجامًا موسيقيًا واضحًا، ويساهم هذا التكرار في إبراز صورة الصفاء والنقاء التي يريد الشاعر تصويرها.

يشبه الشاعر الجمال هنا بصفاء الظبية التي لم تبتعد عن نقائها الطبيعي، فالصورة الشعرية تعكس البراءة والطهر الذي لم تشبه التجارب القاسية، ويبرز التكرار في الألفاظ دلالة النقاء والاستمرار في هذا الصفاء، كما يساهم الإيقاع الداخلي في تعزيز جمال الصورة الشعرية.

كما في قوله :

حتى اذا اخذ الفراق بقسطه منهم وشط بهم عن الاحباب (3)

جاء هذا البيت على البحر الكامل الذي يمنح القصيدة إيقاعًا متدفقًا يساعد على تصوير الانفعال العاطفي، ويظهر الإيقاع الداخلي في التكرار الدلالي بين الفراق والأحباب، فضلاً عنالتوازن بين شطري البيت، مما يخلق موسيقى داخلية تعزز الإحساس بالحزن الناتج عن البعد والفقد.

يصور الشاعر الفراق كأنه قوة تأخذ نصيبها من الناس بلا رحمة، فالفراق هنا ليس مجرد حدث عابر بل قدر يفرض نفسه على الجميع، ويساعد التكرار اللفظي في كلمات مثل "الفراق" و"الأحباب" على تكثيف الشعور بالحزن، كما يعكس الإيقاع المتوازن امتداد الألم في النفس.

وجاء في قوله :

مهلا بني غنم بن تغلب انكم للصيد من عدنان والصياب (4)

ينتمي هذا البيت إلى البحر الكامل الذي يتميز بإيقاع قوي يمنح البيت نغمة خطابية واضحة، ويظهر الإيقاع الداخلي في التكرار الصوتي لعدد الحروف مثل النون والميم، فضلاً عنأسلوب النداء الذي يمنح البيت حركة إيقاعية داخلية، ويساهم هذا التفاعل بين الوزن والأسلوب الخطابي في إبراز نبرة الفخر والاعتزاز.

يخاطب الشاعر القوم بأسلوب النداء ليؤكد مكانتهم بين القبائل العربية، ويعكس هذا النداء نبرة قوية تدل على الفخر والاعتزاز بالنسب، كما أن الإيقاع الناتج عن تكرار الأصوات يضفي على البيت قوة خطابية واضحة، ويساهم ذلك في إبراز المعنى الاجتماعي والفخري في النص.

وقوله :

وربما عدلت كف الكريم عن القوم الحضور ونالت معشر غيبا (5)

---

(1) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، 1/ 146.
(2) ديوان ابي تمام، 19.
(3) ديوان ابي تمام، 20.
(4) ديوان ابي تمام، 21.
(5) ديوان ابي تمام، 22.

جاء هذا البيت على البحر الطويل الذي يخلق إيقاعًا هادئًا يتناسب مع المعنى الأخلاقي الذي يقدمه الشاعر، ويظهر الإيقاع الداخلي في التوازن بين عبارتي الحضور وغيبا، وهو تقابل يولد انسجامًا صوتيًا ودلاليًا داخل البيت، كما يساهم هذا التوازن في إبراز اتساع كرم الممدوح.
يشير الشاعر إلى أن كرم الإنسان الحقيقي قد يصل إلى من لم يطلب العطاء أو يحضر مجلسه، فالكريم يعطي بدافع طبيعته لا بدافع الحاجة إلى المدح أو الثناء، ويبرز التوازن الصوتي بين كلمات البيت اتساع دائرة العطاء، كما يعكس الإيقاع الهادئ سمو هذه الصفة الأخلاقية.

٣- التفاعل بين الإيقاع والمعنى في تصوير تجربة الرثاء

يتضح في الرثاء أن الإيقاع الداخلي لا يعمل بمعزل عن المعنى، بل هناك تفاعل مستمر بين الشكل الصوتي والمضمون الشعوري، فالإيقاع الناتج عن تكرار الحروف والكلمات والتراكيب يعزز المعنى الذي ينقله النص، ويخلق تجربة سمعية ومعنوية متكاملة، ففي رثائيات أبي تمام، يمتزج وزن البحر وقوافيه مع التكرارات الداخلية لتشكيل أجواء حزن موحدة، بإذ يشعر المستمع أو القارئ بوطأة الفقد كما شعر بها الشاعر نفسه، هذا التفاعل يجعل الإيقاع وسيلة تعبيرية فعّالة، إذ لا يقتصر دوره على خلق الموسيقى، بل يساهم في تصوير الحالة النفسية للمتوفى وللشاعر، ويجعل تجربة الرثاء أكثر حيوية وتأثيرًا في المتلقي.[1]

قال الشاعر ابي تمام :

فتلك شقوري لا ارتيادك بالاذى محلي ان لا تبكري تتأوبي [2]

جاء هذا البيت على البحر الكامل الذي يمتاز بإيقاعه المتدفق وقدرته على إبراز المعاني التأملية، ويظهر الإيقاع الداخلي في التوازن بين التراكيب داخل البيت، فضلاً عن التكرار الصوتي لعدد الحروف، مما يمنح البيت انسجامًا موسيقيًا يعكس ثبات الموقف النفسي للشاعر.
يؤكد الشاعر في هذا البيت رفضه للأذى رغم ما قد يواجهه من صعوبات في الحياة، فالشاعر يتمسك بقيمه الأخلاقية حتى في الظروف القاسية، ويعكس الإيقاع المتوازن ثبات الموقف النفسي والأخلاقي للشاعر، كما أن التراكيب الهادئة تضفي على البيت طابعًا تأمليًا.

كما في قوله :

سبقت الدهر بالتلاد ولم ينم تظر النائبات حتى تنوبا [3]

ينتمي هذا البيت إلى البحر الكامل الذي يتميز بإيقاع متدفق يعكس حركة الزمن والأحداث، ويظهر الإيقاع الداخلي في التكرار الصوتي بين تنوبا والنائبات، فضلاً عن التوازن بين شطري البيت، مما يخلق انسجامًا موسيقيًا يعزز صورة التفوق والسبق.
يشير الشاعر إلى أن الممدوح كان سابقًا لعصره في فضائله وإنجازاته، فالتلاد (المجد القديم) يلتقي هنا مع الحاضر ليشكل صورة متكاملة للعظمة، ويعكس الإيقاع المتدفق حركة الزمن وتسارع الأحداث، كما يعمّق هذا الإيقاع الإحساس بعظمة الشخصية المفقودة.

وقوله :

يوم فتح سق اسود الضواحي كثب الموت رائبا وحليبا[4]

(1) دلائل الإعجاز، 78.
(2) ديوان ابي تمام، 24.
(3) ديوان ابي تمام، 26.
(4) ديوان ابي تمام، 28.

ينتمي هذا البيت إلى البحر الكامل الذي يمنح النص إيقاعًا قويًا يتناسب مع تصوير مشهد المعركة، ويظهر الإيقاع الداخلي في التقابل بين مفردات الحياة والموت، فضلاً عن التوازن الصوتي بين كلمات البيت، مما يولد توترًا إيقاعيًا يعكس أجواء الصراع.

يصور الشاعر مشهد المعركة تصويرًا حيًا يمزج بين مظاهر الحياة والموت، فالموت هنا يبدو حاضرًا بقوة في ساحة القتال، ويعكس التضاد بين الألفاظ حالة التوتر التي يعيشها المقاتلون، كما يضفي الإيقاع القوي على البيت طابعًا دراميًا واضحًا.

وقوله :

فاذا ما الايام اصبحن خرسا كضمأ في الفخار قام خطيب (1)

جاء هذا البيت على البحر الكامل الذي يمنح البيت إيقاعًا متحركًا يتناسب مع الصورة الشعرية، ويظهر الإيقاع الداخلي في التوازن الصوتي بين الكلمات، فضلاً عنالتقارب بين المقاطع الصوتية في شطري البيت، مما يولد موسيقى داخلية تعزز المعنى وتبرز قوة الكلمة في إحياء المعاني.

يجعل الشاعر الأيام كأنها صامتة حتى ينهض الخطيب فيعيد لها الحياة بالكلام، فالصورة الشعرية تعكس قوة الكلمة في إحياء المعاني وسط الصمت، ويخلق التوازن الصوتي في البيت إيقاعًا هادئًا يتناسب مع فكرة التأمل، كما يعمّق هذا الإيقاع الإحساس بدور الخطاب في إحياء الذاكرة والتاريخ.

الخاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن الإيقاع يشكّل عنصرًا محوريًا في بناء القصيدة العربية، إذ يقوم بدور أساسي في تنظيم الأصوات وإضفاء النغمة الموسيقية التي تمنح الشعر طابعه الفني المميز، فالإيقاع ليس مجرد إطار شكلي يقوم على الوزن والقافية فحسب، بل هو منظومة صوتية متكاملة تتداخل فيها عناصر متعددة مثل التكرار الصوتي والتنغيم وتوازن التراكيب، الأمر الذي يؤدي إلى تكوين موسيقى شعرية تسهم في تعزيز الدلالة وإبراز الانفعال الشعوري في النص، وقد أظهر النقد العربي القديم إدراكًا مبكرًا لهذه الحقيقة حين ربط بين جمال الشعر وبين حسن تأليف الألفاظ وانتظامها في نسق صوتي منسجم.

كما كشفت الدراسة أن رثائيات أبي تمام حبيب بن أوس الطائي تتميز بعناية واضحة بالبناء الإيقاعي، إذ حرص الشاعر على اختيار البحور الشعرية التي تتلاءم مع طبيعة الرثاء، لما تمنحه من قدرة على التعبير عن الحزن والأسى، وقد ساهمت هذه البحور، بما تتضمنه من إيقاع متمهل وطول نسبي في الشطر، في إتاحة المجال لبسط المعاني وتصوير مشاعر الفقد بصورة متدرجة، كما أن القافية المتكررة في نهاية الأبيات أسهمت في تثبيت النغمة الحزينة داخل القصيدة، وجعلت الإيقاع الخارجي عنصرًا مهمًا في توحيد البناء الفني للنص.

إلى جانب ذلك، ظهر الإيقاع الداخلي بوصفه عنصرًا مكملًا للإيقاع الخارجي، إذ اعتمد الشاعر على وسائل فنية متعددة مثل تكرار الحروف والكلمات والتراكيب، مما أوجد موسيقى خفية داخل النص الشعري، وقد ساعد هذا التكرار الصوتي على تكثيف الشعور بالفقد، لأن تردد الأصوات والألفاظ داخل البيت الشعري يشبه صدى الألم في نفس الشاعر، كما أن التوازن بين الجمل والتقارب الصوتي بين الكلمات أسهما في خلق انسجام موسيقي يعزز الجمال الأسلوبي للقصيدة ويزيد من قدرتها على التأثير في المتلقي.

ومن خلال تحليل النماذج الشعرية يتبين أن العلاقة بين الإيقاع والمعنى في شعر أبي تمام علاقة تكاملية، إذ لا يعمل الإيقاع بمعزل عن الدلالة، بل يساهم في إبرازها وتقويتها، فالنغمة الصوتية التي تتولد من انتظام الوزن والقافية، ومن تكرار الأصوات داخل النص، تتفاعل مع مضمون الرثاء لتجسيد تجربة الحزن بصورة فنية مؤثرة، وبذلك يتضح أن الإيقاع في رثائيات

(1) ديوان ابي تمام،28.

أبـي تمـام لـم يكـن مجـرد عنصـر موسـيقي، بـل كـان وسـيلة تعبيريـة أسـهمت فـي نقـل التجربـة الشعورية للشاعر وإيصالها إلى المتلقي بأقصى درجات التأثير.
وفـي ضـوء مـا سـبق يمكـن القـول إن دراسـة الإيقـاع فـي شـعر أبـي تمـام تكشـف عـن جانـب مهـم مـن جوانـب الإبـداع فـي الشـعر العباسـي، وتبـرز قـدرة الشـاعر علـى توظيـف العناصـر الصـوتية لخدمـة المعنـى وبنـاء التجربـة الشـعرية، كمـا تؤكـد هـذه الدراسـة أن التفاعـل بـين الإيقـاع الخـارجي والإيقـاع الـداخلي يمثـل أحـد أسـرار جمـال الشـعر العربـي، إذ يتكامـل الـوزن والقافيـة مـع العلاقـات الصـوتية الدقيقة داخل النص لتشكيل البنية الموسيقية الكاملة للقصيدة.

المصادر

١. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1982م.

٢. تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، مرتضـى الزبيـدي، تـح: عبـد السـتار أحمـد فـراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1965م.

٣. دلائـل الإعجـاز، عبـد القـاهر الجرجـاني، تحقيـق محمـود شـاكر، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، 2004م.

٤. ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، 1951م.

٥. ديـوان ابـي تمـام الطـائي ،أبـي تمـام حبيـب بـن اوس الطـائي ، فسـره و شـرحه محيـي الـدين الخياط ، نظارة المعارف العمومية الجليلة ، القسطنطينية ، 1887م .

٦. العروض والقافية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996م.

٧. العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 2002م.

٨. في الأدب العباسي وتاريخه، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 2002م.

٩. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 2005م.

١٠. لسـان العـرب، ابـن منظـور، تـح: عبـد الله علـي الكبيـر وآخـرين، دار المعـارف، القـاهرة، 1981م

١١. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر، بيروت، 1970م.

١٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، 2004م.

١٣. الموازنـة بـين الطـائيين، الحسـن بـن بشـر بـن يحيـى الآمـدي، تـح: أحمـد صـقر، دار المعـارف، القاهرة، 1961م.

١٤. الموسيقى الشعرية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996م.